24- اكتشاف أمريكا (1492م)

The Discovery Of America (1492)

عندما سافر «ماركو بولو Marco Polo» فى رحلة بحرية بعيدة المدى إلى البلاد الآسيوية والشرق الأقصى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، كان قد افتتح برحلته مجالا فسيحا من المجالات التجارية التى تكاثرت أرباحها فى أيدى التجار فى مدينة «جنوا Genoa» الإيطالية مسقط رأس ماركو بولو ، وفى أيدى التجار فى مدينة «فينيسيا Venice» أيضا باعتبار أنها من أكبر الموانئ الإيطالية وأكثرها اتساعاً ونشاطا.

ولما كانت القسطنطينية قد افتتحها الأتراك العثمانيون فى سنة (1453م) وأغلقوا بذلك الطريق الشرقى لتجارة أوربا عن طريق جنوا وفينيسيا ، وأفضت هذه الكارثة التى حلت بموانئ جنوب شرق أوربا إلى أن يفكر البحارة الأوربيون فى العثور على طريق آخر للملاحة إلى بلاد الشرق .

وأفضى العكوف المستمر على دراسة الخرائط الجغرافية ، وكذلك أفضى الاستماع إلى قصص البحارة وتجاربهم فى رحلاتهم البحرية بعيدة المدى إلى اقتناع كريستوفر كولومبس «Christopher Columbus» أن الأرض كروية الشكل ، وهى نظرية كانت قد بدأت تستقر فى أذهان بعض كبار البحارة المحترفين آنذاك . وهكذا بدأ كولومبس يفكر فى مشروع للوصول إلى بلاد الصين وبلاد اليابان عن طريق الإبحار فى اتجاه الغرب ، وأخذ يجول بين الأقطار الأوربية بحثا عن أحد كبار الممولين لكى يقدم الأموال اللازمة لهذا المشروع الكبير غير المسبوق.

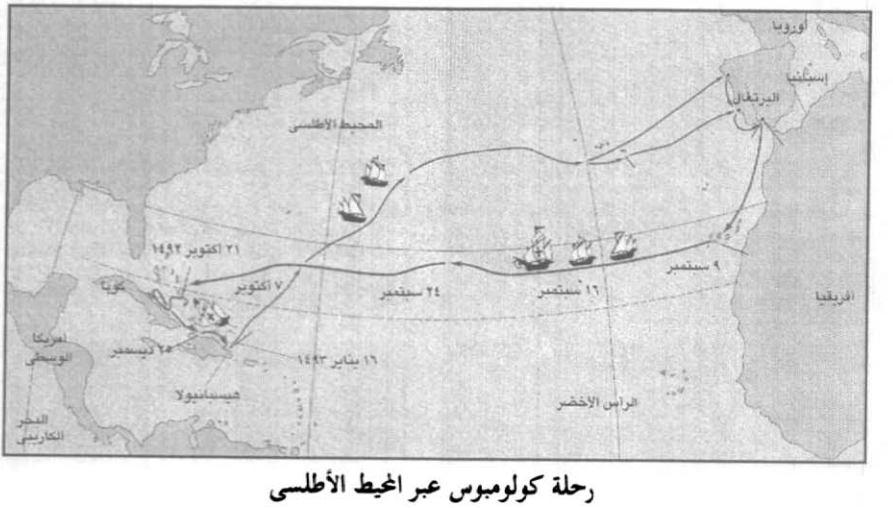

رحلة كولومبوس عبر المحيط الأطلسى

وكان كريستوفر كولومبس قد بلغ السادسة والخمسين من عمره عندما أصغى كل من فرديناند وإيزابيلا إلى تفاصيل مشروعه ، ووافقا على أن يضعا تحت تصرفه ثلاث سفن لتنفيذ مشروعه الكبير ، وهى السفن التى كانت تحمل اسماء : «سانتا ماريا Santa Maria» و «نينا Nina» و «بينتا Pinta» .

وخلال رحلات كولومبس البحرية الأربع باتجاه الغرب ، بين عامى 1492 ، 1504 ، قام كولومبس باكتشاف جزر الهند الغربية وسواحل أمريكا الوسطى والجنوبية ..

وفى اليوم الثالث من شهر أغسطس من عام 1492 أقلع أسطول كولومبس من ميناء «بالوس» ، كان ذلك الأسطول يحمل 88 بحاراً ، واتجه نحو جزر «كناريا» ..

وفى أكتوبر من نفس العام هبط كولومبس فى إحدى جزر البحر الكاريبى ، وقد تخيل أنه هبط أرض إحدى جزر الهند بالقرب من اليابان والصين ..

جاء فى سجل سفينته ، أنه رأى فى تلك الليلة ضوءاً أخذ يشتد ويخبو ، ثم يشتد، كما يحدث للشمعة عندما يمسها ريح .

وجاء فى سجل السفينة أيضا : أنه لما شقشق الصباح أو كاد ، رأى رأساً عاليا من الرمال ..

وتكلم فى هذا السجل عن السواحل ، وصخوره ، ووجود فتحة فى الصخور نفذ منا إلى الساحل ، ثم هبط على الأرض ووصف نبتها وأرضها ..

وبسبب اعتقاد كولومبس الخاطئ من أنه هبط احدى جزر الهند ، فقد أطلق على سكان تلك المنطقة اسم «الهنود» وأطلق على تلك الجزر اسم «جزر الهند الغربية» .

وبعدمضى أكثر من 470 عامًا قامت السيدة ولبار Welbar ومساعدوها فى معهد البحوث الشهير «Smithsonian Institute» بعمل بحث استغرق سبع سنوات لمعرفة أول موضع رأه كولومبس من أمريكا لأول مرة ونزل به .. وانتهى البحث إلى أن ذلك الموضع هو جزيرة سان سلفادور فى أرخبيل البهاما .. وهى تقع تمامًا عند خط العرض الذى عينه كولومبس لمواضع سفينته .. وهو شمال مدار السرطان بقليل .. وجاء البحث مطابقًا لما ورد فى سجل سفينة كولومبس .

ومن الطريف أن تلك السيدة قامت وأعوانها فى عام 1964 ، وفى مثل تلك الليلة التى وصل فيها كولومبس بتمثيل نفس الدور الذى قام به قبل نحو 500 سنة .. ركبت هى ورجالها سفينة تدعى Drake وساروا بها فى نفس الطريق الذى سار فيه كولومبس ، وفى مثل تلك الليلة ، ومثل تلك الساعة منها رأوا الضوء يشتد تمامًا كما وصف كولومبس ..

رأوه وهم على بعد 37 ميلاً ، تمامًا عند المسافة التى رآه منها كولومبس ورجاله.. وعندما استوضحوا سبب هذا الضوء ، وجدوا أن أهل الجزيرة ، من بقى منهم من أخلاف آبائهم القدماء ، يوقدون فى هذا الشهر من السنة النيران دفعًا لذبابة الرمل التى تنغص عليهم حياتهم فى مثل هذا الوقت من السنة .. أما اشتداد الضوء وضعفه، فلأنهم كانوا يوقودون النار بأوراق صنف من النخيل الشمعى ، فتشتد النيران بالتقامه، ثم لاتكاد تخبوا حتى يلقموها وقودًا جديدًا .. وهكذا ..

25- اكتشاف المحيط الهادئ (1513م)

The Discovery Of The Pacific (1513 A.D)

بعد اكتشاف كولومبس أراضى «جزر الهند الغربية The West Indies» كما أسماها أرسلت أسبانيا كثيرا من المستكشفين ، وكثيرا من المستعمرين لكى يستقروا فوق أراضى تلك المستعمرات الأسبانية الجديدة . وكان أحد أولئك المستعمرين الأسبان الجدد يعيش فوق أرض جزيرة «هاييتى Haiti» هو «فاسكونانيز دى بالبوا Vasco Nunez De Balboa» وكان فلاحا مفلسا لا يمارس أعمال الزراعة ، بل يمارس ارتكاب كثير من الجرائم، وكان يواجه من جرائها الحكم بالإعدام .

اختبأ فاسكو داخل برميل خشبى ضخم فارغ فوق ظهر سفينة كانت تحت قيادة الكابتن «إنشيسكو Encisco» وكان إذا احتاج إلى تناول وجبة من الطعام خرج من البرميل الخشبى أثناء رحلة السفينة واندس بين البحارة وصار يمارس أعمالهم ، حتى برع فيها وانتزع قيادة السفينة من الكابتن إنشيسكو . وبعد أن رست السفينة عند «داريان Darien» ، وهى التى نعرفها الآن باسم «بنما Panama» ، قام فاسكو بتأسيس مستعمرة «سانتا ماريا Santa Maria» ، وسمع فاسكو حكايات كانت تترد على ألسنة السكان الأصليين عن كنوز ضخمة فى الاتجاه الغربى . وقام فاسكو بتجهيز رحلة بحرية تتكون من (190) بحارا من أصل أسبانى كان بينهم «بيزارو Bizarro» الذى سيطر على «بيرو Peru» ، وكانت الرحلة تضم أيضا ألف رجل من سكان بنما الأصليين ، وبعد رحلة بحرية طويلة استغرقت بضعة أسابيع وصل إلى قمم جبال «الكورديلاراس Cordilleras» ، حيث شاهد أمامه مساحات شاسعة من مياه المحيط الذى أطلق عليه فاسكو اسم «بحر الجنوب الكبير» وهو المحيط الذى أطلق عليه «ماجلان Magellan» فيما بعد اسم المحيط الهادى ، أو المحيط الباسيفيكى The Pacific Ocean ونزل فاسكو إلى ماء ذلك المحيط الذى كان قد وصل إليه وهو يحمل سلاحه شاهرا سيفه حتى وصل الماء إلى ركبتيه وأعلن ملكيته لهذا المحيط باسم إسبانيا .

وبعد ذلك غدا «فاسكوا دى بالبوا» واحدا من أقدر رجال ملك أسبانيا وأكثرهم إخلاصا وولاء ، على الرغم من أنه قد صدر ضده حكم بالإعدام عندما كان فى الرابعة والأربعين من عمره . وسيظل اسمه ملازما لهذا المحيط الغربى المعروف باسم المحيط الهادى الذى كان أول رجل يشاهده وينزل بقدميه إلى مياهه القابعة وراء الأمريكتين .

ولكن : هل المحيط الهادى هادئًا بالفعل ؟

أطلق ماجلان اسم المحيط الباسيفيكى ، وهى الكلمة التى ترجمت بالهادئ ، وهى وإن كانت تتضمن معنى المسالمة (أى محيط السلام) .. إلا أن المحيط لايبدو هادئًا أو مسالمًا بصفة دائمة ، فلقد أغرقت عواصفه وأعاصيره العديد من الأساطيل ، ودمرت وابتلعت الكثير من الجزر !!

26- رحلة ماجلان البحرية حول العالم (1519م-1522م)

Magellan's Voyage The World (1519 - 1522)

اقتناعا بأن الأرض كروية الشكل ، فلقد حاول كثير من البحارة ومنهم كولومبس أن يصلوا إلى الهند الشرقية ، وذلك بالقيام برحلة بحرية تتجه نحو الغرب وليس الشرق كما كان الحال بالنسبة إلى الرحلات البحرية المتجهة إلى الهند الشرقية من قبل . ولكن الدليل الحاسم على صحة هذا الاعتقاد لم يتم الوصول إليه حتى عام 1519م، إذ لم تكتمل رحلة كولومبس مثلا فى سيرها حول الأرض ، بل توقفت عند أمريكا .

فى ذلك الوقت ظهر ماجلان ، وهو قبطان بحرى برتغالى ، وقد اختمرت فى ذهنه فكرة إمكانية الوصول إلى جزر التوابل (إندونيسيا الحالية) إذا أبحر فى اتجاه جنوب أمريكا الجنوبية ..

ولما كان قد افتقد التشجيع من جانب البلاط الملكى فى البرتغال ، اتجه «ماجلان Magellan» إلى أسبانيا حيث حصل على مساعدة الملك «شارل الخامس Charles V» الذى تعهد أن يتحمل تمويل مشروع رحلة ماجلان للإبحار حول «الكرة الأرضية مكتملة The Globe» ...

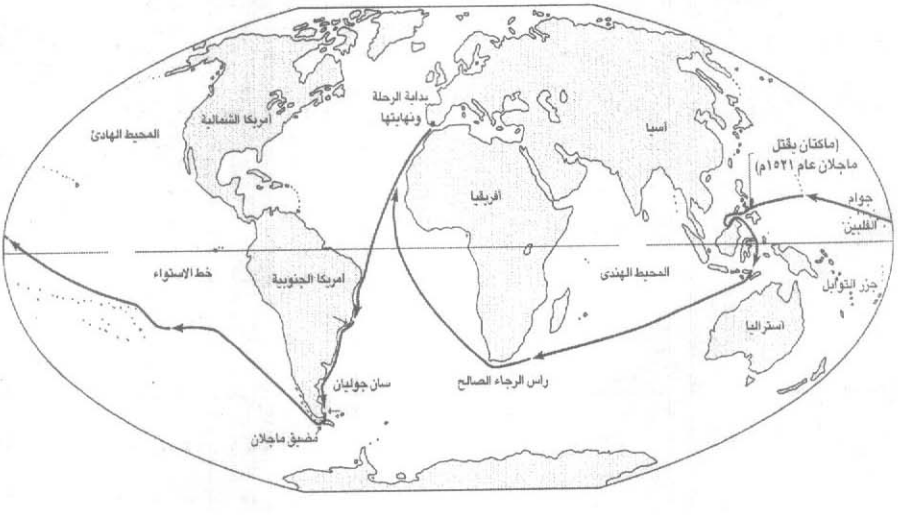

رحلة ماجلان والتى استغرقت ثلاث سنوات من عام 1519 إلى 1522

وهكذا ، أبحرت خمس سفن تحمل 275 بحارا عبر المحيط الأطلسى فى اليوم العشرين من شهر سبتمبر سنة 1519م ، وبلغت تكاليف تجهيزها للإبحار حوالى ربع مليون دولار... ووصل الأسطول الصغير إلى الطرف الجنوبى من أمريكا الجنوبية ، واكتشف الطريق المؤدى إلى المحيط الهادئ ، الذى يطلق عليه الآن اسم «مضيق ماجلان Straits Of Magellan» ، وبعد رحلة بحرية قطعت مسافة (360) ميلا باتجاه الجنوب فى أجواء شديدة العواصف ، وصلت إلى المياه التى كان قد اكتشفها «فاسكو دى بالبوا» من قبل ، وأطلق عليها ماجلان اسم المحيط الباسيفيكى (الهادى) وهى التسمية التى ظلت سائدة علما على هذا المحيط حتى اليوم .

وبعد هذه الرحلة الطويلة والشاقة ، بدأت المتاعب والأمراض ومعاناة آلام الجوع تظهر على البحارة ، بل وبدأ اليأس والتمرد على موجهتهم ، وكان الأمر قد خرج من تحت سيطرة ماجلان ، وهناك فى جزر الفلبين قتل بعض السكان الأصليين ماجلان نفسه ولم يكن قد بقى من سفنه سوى سفينتان واصلتا رحلتهما إلى جزر التوابل... ولم يعد إلى أرض الوطن إلا سفينة واحدة هى السفينة «ڤيتوريا Vittoria» وهى متهالكة من جراء أهوال الرحلة الطويلة التى استغرقت حوالى ثلاثة أعوام ، ولم يصل من البحارة إلا (38) بحارا هم كل الذين ظلوا على قيد الحياة .

وعلى الرغم من أن ماجلان كان قد قتل قبل أن يستكمل رحلته ، إلا أنه يستحق أن يتبوأ مكانته باعتباره واحداً من أعظم البحارة فى التاريخ لأنه عندما مات كان قد وصل بالفعل إلى الطريق الذى يعود إلى أوربا ، وكان قد أنجز معظم العمل الشاق الذى اقتضته هذه الرحلة البحرية الكبيرة التى برهنت بالدليل القاطع على أن الأرض كروية الشكل .

27 - لوثر والثورة البروتستانتية (1523 - 1524م)

Luther and The Protestant Revolt (1523 - 1524)

شغل ما يسمى بحركة «إصلاح الكنيسة فى أوربا Reformation Of The Chursh» فترة من أعظم فترات التاريخ الحافلة بالأحداث فى سجل التاريخ المسيحى فى أوربا . ولقد مهد الطريق لقيام هذه الحركة لإصلاح مفاسد الكنيسة الكاثوليكية آنذاك أسباب كثيرة تضافرت على إفساد حياة معظم الناس فى دول أوربا ، مثل هوس وصرامة وتصلب وتحجر ممارسات الكنسية آنذاك ، وكذلك تعالى وغطرسة واستبداد السلطات الكنيسة ، وتعاظم مساحات الأراضى الصالحة للزراعة والبناء المملوكة للكنيسة مع إعفائها من كافة أنواع الضرائب ، وكذلك الاحتكاك المستمر والتحرش الدائم والمنازعات المتعددة مع الدول الأوربية ، وكذلك الخصومات التى كانت تنشب مرارا وتكرارا بين البابا وبين ملوك أوربا فيما يتعلق بكثير من الأمور السياسية ، وكانت كل هذه الأسباب قد تضافرت لتمهد الطريق لمثل هذه الثورة التى أطلق شرارتها «مارتن لوثر Martin Luther» أستاذ اللاهوت المسيحى فى جامعة «ويتنبرج Wittenberg» الذى كان واحدا من أتباع «أوغسطين» .

وفى عام 1517م عمد مارتن لوثر إلى تعليق إعلان مكتوب على ورقة بجوار باب مدخل كنيسة مدينة «ويتنبرج» متضمنا 95 بندا للاحتجاج على سوء الممارسات الدينية البابوية المتعلقة بصكوك الغفران فى مقابل دفع مبالغ مالية كبيرة Forgiving Sins For Payments . وانتشرت أنباء اعتراضات مارتن لوثر ضد الممارسات الكنسية انتشارا واسع النطاق ، وأصبح له عدد كبير من الأتباع والأنصار بين الملوك والأمراء والنبلاء فى ألمانيا ، وكثير من دول وسط أوربا ، وكفلوا له الحماية من بطش البابا ، ورفضوا محاكمته أو تسليمه للمحاكمة ، واعتبروه مصلحا دينيا مخلصا وليس غارقاً فى الهرطقة كما كان يتهمه البابا بذلك .

وفى الأعوام السبعة التالية لإعلان مارتن لوثر احتجاجه المشهور ضد ممارسات البابا الدينية ، أصبح النزاع بين الكنيسة والثائرين ضد ممارستها هو الشبح المفزع الذى يبدد الاستقرار وهدوء الأمور واستتباب الأمن فى دول أوربا ، وخصوصا عندما ثار أبناء الجيل الأسود ضد الأمراء الذين يحكمونهم . واتسع نطاق القلاقل والثورات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وازدادت المعارك وسفك الدماء والمذابح المتبادلة بين المذاهب الدينية المتناحرة . وعلى الرغم من أن مارتن لوثر كان يتعاطف فى البداية مع الثائرين ضد الممارسات الكنسية إلا أنه قد أدان إسراف أولئك البروتستانت فى سفك دماء خصومهم ، وبعد أن أكلت الثورة الدينية كل ما طاب لها من الضحايا البشرية هدأت الأمور .

وعلى كل حال ، عندما مات مارتن لوثر فى عام 1546م كانت حركة الإصلاح الدينى البروتستانتية قد اكتسبت أنصارا لها يكفلون لهذه الحركة البروتستانتية البقاء والاستمرار فى نطاق واسع من أراضى الدول الأوربية ، وانبثق ميلاد الكنيسة البروتستانتية من أحشاء النضال من أجل التسامح والمطالبة بالقضاء على صكوك الغفران ، بكل ما تحمله الكنيسة البروتستانتية من ملامح تجعلها كنيسة متمايزة عن غيرها من الكنائس المسيحية.

28- نشأة الجزويت (1539م)

The Founding Of The Gesuits (1539A.D)

جماعة يسوع ، أو جمعية اليسوعيين Jesuits .. قام بتأسيسها «إجناتيوس ليولا Ignatius Of Loyola» وهو شاب أسبانى كان عند تأسيسه لهذه الجمعية فى السادسة والعشرين من عمره بعد أن كان قد جرح جرحاً خطيرا فى معركة من المعارك ، فقرر لو تحقق له الشفاء من إصابته تلك أن يحيا حياة الأتقياء .

وبعد أن تماثل إجناتيوس ليولا للشفاء ، قضى بضع سنوات فى السفر والترحال طلبا للإلمام بالعلوم والمعارف اللاهوتيه ، ثم جمع حوله سبعة أصدقاء وقرر أن يشد معهم الرحال للسفر إلى روما لكى يضعوا أنفسهم فى خدمة البابا.

فى ذلك الوقت كانت الكنيسة الكاثوليكية منهكة القوى واهية العزيمة ضعيفة الثقة ، قليلة الأتباع ، بعد أن تقلص عدد رعاياها وأتباعها وتحولوا بولائهم الدينى إلى الكنيسة البروتستانتية ، وكان المذهب البروتستانتى قد بلغ ذروة النجاح فى الانتشار والاستئثار بقبول الناس ورضاهم . ولمقاومة هذا المد البروتستانتى ، ولمساندة المذهب الكاثوليكى حتى لا يزداد تراجعا فى معركته المصيرية الحاسمة ضد البروتستانتية ، وفى محاولة لدحض شبهات تهافت الكاثوليكية للحصول على الملذات والممتلكات

العقارية والمكاسب المالية ، رحب البابا بدعوة «إجناتيوس ليولا» إلى حياة الزهد والتقشف فى نطاق المذهب الكاثوليكى دون حاجة إلى الخروج عن المذهب والثورة عليه . وإذا كان البروتستانت يعيبون على الكنيسة الكاثوليكية شدة الانغماس فى أسباب ترف الحياة الدنيا ، فها هى ذى الكاثوليكية تسمح أن يكون فى نطاقها متسع لكل من يرغب فى حياة الزهد فى الملذات الدنيوية ، وممارسة حياة التقشف لكل من يشاء أن يحياها . وتحمس البابا لمساندة دعوة إجناتيوس ليولا إلى حياة الزهد والتقشف وأعلن مباركته لجهود هذه الجماعة وتعهد برعاية كل شئونها .

وفى عام 1539م شرع إجناتيوس ليولا وجماعته الصغيرة فى القيام برحلة للحج إلى بيت المقدس تحت شعار أنهم «جماعة يسوع» ، وأقسم أعضاء الجماعة أن يعيشوا حياة الفقر والزهد والتقشف ، وتم اعتراف البابا «بول الثالث Paul III» بمشروعية قيام هذه الجمعية اليسوعية برئاسة إجناتيوس ليولا فى نطاق وبمباركة البابوية الكاثوليكية فى عام 1540م .

وتضخم عدد أعضاء الجمعية اليسوعية وأصبح أعضاؤها رجالا تعمقوا فى دراسة الدين ، زعموا أنهم يكافحون ويكرسون كل حياتهم لعمل الخير ، للبشر دون تمييز. ولا يأنفون من العمل بأنفسهم لتحقيق هذه الغاية ، والقيام بأى عمل من شأنه تحقيقها . واجتهدوا فى دراسة واكتشاف الأعمال التى يمكن لهم القيام بها لتحقيق هذا الهدف النبيل ، واجتهدوا فى إتقان كل ما يلزم للنجاح فى أداء الأعمال النافعة لأكبر عدد من الناس يستطيعون الوصول إلى تقديم الخدمات إليهم ، فى مسلك من شأنه أن يرفع منزلة المذهب الكاثوليكى فى أنظار الناس ، ليزيل ما علق بهذا المذهب من شوائب نتيجة للمآخذ التى أظهرها أتباع المذهب البروتستانتى ضد الممارسات الدينية الكاثوليكية وكأنما الكاثوليكية تريد أن تقول للناس : «لا ، لسنا نحن معشر الكاثوليك ، الذين نتهافت على الأموال والممتلكات والعقارات والنفوذ السياسى، ولكن فى المذهب الكاثوليكى متسع لكل من يريد حياة الزهد والعبادة والتقشف والابتعاد عن ملذات الدنيا ، وجماعة الجزويت اليسوعية الكاثوليكية شاهد على ذلك، ويستطيع كل من يرغب فى العبادة مع الزهد والتقشف أن ينضم إليها فى نطاق المذهب الكاثوليكى دون حاجة إلى الانشقاق عن الكاثوليكية والانضمام إلى المذهب البروتستانتى» . وبذلك كانت جمعية الجزويت اليسوعية طوق النجاة لإنقاذ الكاثوليكية من الاتهامات الخطيرة التى كان يكيلها أتباع المذهب البروتستانتى.

ومضت الأعوام لتزداد جماعة الجزويت اليسوعية أتباعا وأشياعا من خلال نشاط

أعضائها المؤسسين بكل دأب وإصرار على مواصلة الأعمال المخططة الجيدة الإعداد فى كل نواحى الحياة ، ونقلت الجمعية نشاطها إلى كثير من أقطار العالم مع الاهتمام بالعالم الجديد فى أمريكا ، مما جعل فروع جمعية الجزويت اليسوعية هيئة مرهوبة الجانب ذات نفوذ طاغ وفعال فى مضمار السياسة العالمية ، يخطب ودها ، ويقدم لها الولاء والمساعدات كل الزعماء والقادة السياسيين فى كثير من البلدان .

وكان الأعضاء الجدد المتطوعون للعمل فى نطاق جمعية الجزويت اليسوعية يخضعون أولا وقبل أن يعهد إليهم القيام بمهام ذات شأن فى أعمال الجمعية إلى تدريب شاق طويل يصل مداه إلى مدة لا تقل عن 15 – 16سنة ، وذلك وفقا للتعليمات التى صاغها إجناتيوس ليولا فيما أسماه «التدريبات الروحية Spiritual Exercises» ، ولقد أصبح كثير من أتباع جمعية الجزويت اليسوعية هم أفضل المدرسين المشتغلين فى مجالات التعليم فى أوربا على مدار حقب متتالية من الزمان ، نتيجة لاهتمام الجزويت بكل ما يتعلق بالتعليم ، إذ كان مؤسس هذه الجمعية إجناتيوس ليولا ينادى بادئ ذى بدء أن « التعليم والحصول على المعرفة هو مفتاح باب خدمة الرب» . وأفضى اجتهاد أتباعه فى الحصول على المعرفة إلى أنهم قد أصبحوا بالفعل هم أفضل المعلمين وأكثرهم براعة فى فنون التدريس ، مما جعل للمدارس اليسوعية شهرة كبيرة فى كثير من أقطار العالم ، فلهم أكثر من أربعة آلاف مدرسة وكلية وجامعة فى جميع أنحاء العالم .

تخرج من هذه المدارس عدد كبير من المكتشفين والمبشرين والعلماء ورجال الدين والكتاب ، فمنهم مثلاً القديس «فرانسيس خافيير» وهو من اليسوعيين الأسبان، الذى أدخل الآلاف من سكان الشرق الأقصى فى الدين المسيحى خلال القرن السادس عشر .. كذلك كان منهم «جيرارد مانلى هوبكنز» ، من أكبر شعراء القرن التاسع عشر ، وهو من اليسوعيين الإنجليز ، ومنهم أيضا الأب اليسوعى الفرنسى «بيتر تيلار دى شاردان» وهو من أكبر علماء دراسة الحفريات فى القرن العشرين .

ولكن محاولات الجزويت اليسوعيين التدخل فى الصراع السياسى فى كثير من الأقطار ، وانغماسهم فى الشئون والمشاكل السياسية ، وغموض ممارساتهم السرية ، قد أفضى بهم إلى العزلة والحد من إمكانات تدخلهم فى الأمور السياسية فى كثير من الأقطار . ولم يعد الجزويت اليسوعيون اليوم يحظون بالنفوذ المؤثر القوى الذى كانوا يتمتعون به فى ظل قوة نفوذ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التى أصبحت اليوم فى غير حاجة إلى جهود الجزويت اليسوعيين .

29- حصار مالطة (1565م)

The Siege Of Malta (1565)

ما الذى جعل معاوية بن أبى سفيان ، وهو الوالى المسلم على بلاد الشام ، يطلب من عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يصرح له بإنشاء أسطول بحرى ، ورفض سيدنا عمر الإذن له بذلك ، حتى جاءت خلافة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – فكرر معاوية الطلب ، وأذن له سيدنا عثمان ببناء أسطول بحرى بشرط ألا يجبر مسلما على ركوب البحر ؟

وما هو السبب فى أن الأتراك العثمانيين قد سيطروا على كل الجزر الموجودة فى البحر المتوسط ولا تزال تركيا تتمسك بسيادتها على شمال جزيرة قبرص ؟

وما هو السبب فى أن الفيلد مارشال إروين روميل أثناء قيادته للجيش الألمانى الخامس فى شمال إفريقيا كان يلح على هتلر مطالبا باحتلال الألمان لجزيرة مالطة ؟

الجزر المتناثرة فى البحر المتوسط مثل قبرص ، ومالطة ، وكريت ، وصقلية وغيرها، كانت تلعب فى القرون الماضية دورا استراتيجيا مهما بين غرب آسيا وشمال إفريقيا وجنوب أوربا . كانت فلول القوات الرومانية بعد انسحابها أمام حركة الفتح الإسلامى تحاول تجميع قوات عسكرية فى جزيرة قبرص ومالطة ثم تحاول مهاجمة أراضى الشام المطلة على الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، مما جعل معاوية بن أبى سفيان يلح فى طلب الإذن له بتكوين أسطول بحرى للقضاء على هذه التجمعات الرومانية المعادية ، ونجح معاوية فى تكوين هذا الأسطول تحت قيادة عبد الله بن قيس الحارثى ، واستولى بالفعل على جزيرة قبرص وجزيرة رودس . وفى سنة (34 هـ) وقعت بين العرب فى مصر بقيادة عبد الله بن أبى السرح وبين أسطول الرومان معركة بحرية مهمة فى البحر المتوسط هى معركة «ذات الصوارى» انتصر فيها العرب.

يدل ذلك دلالة قاطعة على الأهمية الاستراتيجية الكبرى لجزر البحر المتوسط فى الدفاع والهجوم المتبادل بين دول غرب آسيا وشمال إفريقيا من جهة وبين كافة دول جنوب أوربا من جهة أخرى وذلك طوال عصور التاريخ القديم والحديث بوجه عام .

وجزيرة مالطة واحدة من أهم الجزر الموجودة فى البحر المتوسط بين قارة أوربا وقارة إفريقيا بالقرب من شواطئ غرب آسيا المطلة على البحر المتوسط . ولقد كانت مالطة على مدار قرون عديدة واحدة من ممتلكات الإمبراطورية الرومانية ، ثم خضعت مدة طويلة بعد ذلك لسيطرة الأتراك العثمانيين ، وكان النورمانديون والإيطاليون يتبادلون مع الأتراك السيطرة على هذه الجزيرة ذات الأهمية الاستراتيجية فيما يتعلق بالهجوم أو الدفاع على حد سواء ، ثم استقرت جزيرة مالطة فى أيدى فرسان «القديس يوحنا St. John» تحت راية الملك الأسبانى «شارل الخامس King Charles V» ... ولدى سماع فرسان القديس يوحنا أن السلطان «سليمان الثانى» على وشك أن يغزو الجزيرة للقضاء على فرسان القديس يوحنا قاموا بعمل كل ما يمكنهم من تجهيزات الدفاع عن بقائهم فوق أرض جزيرة مالطة ...

وفى شهر مايو سنة 1565م هاجم أسطول تركى يحمل حوالى 30 000 مقاتل جزيرة مالطة بقيادة أمير البحر التركى مصطفى باشا ، وبدأ فى حصار الجزيرة التى كان يدافع عنها ما لا يزيد على ثمانية آلاف من فرسان القديس يوحنا بقيادة «أوليفر ستاركى Oliver Starky» . وقتل أثناء الهجوم التركى على الجزيرة «القديس إلمو St Elmo .» مما أغضب الأهالى وأثار الحماس فى قلوب بقية الفرسان المدافعين عن الجزيرة . واضطر حوالى 1200 مدافع عن الجزيرة إلى التراجع إلى الوراء ، ولكنهم كانوا قد قتلوا ما لا يقل عن 7000 مقاتل من المهاجمين الأتراك مما يدل على شدة القتال للسيطرة على الجزيرة . وواصل المدافعون عن الجزيرة الدفاع عنها بعد أن ابتعدوا عن سفن الأسطول التركى مسافة كافية ، وعند بعض الاستحكامات الدفاعية تمسكوا بالثبات فى مواقعهم وحاربوا بعزيمة وثبات ، وبحلول اليوم الثانى من شهر سبتمبر سنة 1565م أى بعد نحو أربعة أشهر من القتال اضطر مصطفى باشا إلى التراجع بأسطوله وتخلى عن حصار الجزيرة نهائيا ...

وأفضى حصار الأتراك لجزيرة مالطة إلى شد انتباه واهتمام الدول الأوربية إلى أهمية هذه الجزيرة ، ووصل إليها أعداد غفيرة من «الفرسان الجدد» الذين تطوعوا للدفاع عن جزيرة مالطة لتتمكن من الصمود أمام أى غزوات أخرى من جانب الأتراك . وهكذا حالت شجاعة المدافعين عن جزيرة مالطة سنة 1565م دون تهديد الأتراك لكل دول جنوب أوربا مما جعل هذه المعركة مثار فخر واعتزاز لدى دول أوربا. وبدلاً من أن يهدد الأتراك دول جنوب أوربا عسكريا وتجاريا ظلت جزيرة مالطة شوكة فى حلق الأتراك عسكريا وتجاريا .

30- مذبحة سانت بارتولوميو (1572م)

The St . Bartholomew Massacre (1572)

على الرغم من أن فرنسا كانت دولة شديدة التعصب للمذهب الكاثوليكى الذى كان يدين به معظم الفرنسيين إلا أن المذهب البروتستانتى استطاع التسلل إلى بعض الفرنسيين الذين حاولوا أن يخففوا حدة الصراع بينهم كأقلية بروتستانتية يعيشون فى كنف أغلبية كاثوليكية ، فأطلقوا على أنفسهم تسمية أخرى هى «هوجونوت Huguenot» واستطاعت جماعة الهوجونوت أن تشق طريق الحياة لأتباعها فى الأقاليم الفرنسية .

واستطاع أحد أبناء الهوجونوت أن يصبح جنرالا فى الجيش الفرنسى ، وأن يصبح المستشار الموثوق به للملك شارل الرابع Charles Iv الذى كان يأخذ برأى الجنرال «كوليجنى Coligny» أحد أبناء الهوجونوت المشهورين .

وكانت أم الملك ، «الملكة الأم كاترين دى ميديشى Catherine De Medici Queen Mother» تغار بشدة من تأثير وقوة نفوذ ذلك الجنرال البروتستانتى الهوجونوتى ، إذ كانت شديدة التعصب للمذهب الكاثوليكى . وخططت الملكة الأم كاترين لتنفيذ مؤامرة لاغتيال الجنرال كوليجنى ، ولكن المؤامرة فشلت ، ونجا الجنرال من محاولة الاغتيال الفاشلة ولم يصب إلا بجرح طفيف . وعندما ذاعت أنباء محاولة الاغتيال الفاشلة فى أوساط الهوجونوت أقبلوا وتجمعوا

حول الجنرال الهوجونوتى النابه فى باريس لتوفير أكبر قدر من الحماية له ، مما زاد من حقد وغضب الملكة الأم وأصبحت تخشى من انتقام جماعة الهوجونوت وتخشى من ازدياد نفوذهم فى البلاط الفرنسى ، ولم يعد هدف الملكة وتخطيطها ينحصر فى القضاء على الجنرال البروتستانتى الهوجونوتى كوليجنى ، بل اتسع نطاق التخطيط ليشمل كل جماعة الهوجونوتى فى فرنسا لاجتثاث جذورهم من الأراضى الفرنسية. وحانت الفرصة لتنفيذ هذه الخطة الواسعة النطاق أثناء الاحتفال بزفاف أخت الملك شارل الرابع إلى الأمير هنرى ، أمير مقاطعة ناڤارين ، ورأت الملكة الأم كاترين أنها تستطيع أن تتخلص من كل زعماء ووجهاء وقادة وأثرياء جماعة الهوجونوت بضربة واحدة أثناء حضورهم من سائر الأقاليم الفرنسية لحضور حفل زفاف أخت الملك شارل الرابع . واستعانت الملكة كاترين بنفوذ ومساعدة اثنين من النبلاء المقربين أيضا من الملك لإقناعه أنه لا يجب أن تفوت هذه الفرصة السانحة للقضاء على نفوذ الهوجونوت الذين يهددون العرش الفرنسى ، ويقتضى الصالح العام لفرنسا ضرورة التخلى من وجودهم على الأراضى الفرنسية كلها .

وفى الصباح الباكر من يوم 24 أغسطس سنة 1572م ، يوم الاحتفال بعيد القديس «بارتولوميو St .Bartholomew» بدأت المذبحة الشهيرة ، مذبحة القديس «بارتولوميو» ضد أبناء جماعة الهوجونوت البروتستانتية ... وغرقت شوارع باريس فى دماء الضحايا التى سفكت ، وحطم القتلة الكاثوليك الفرنسيون منازل الهوجونوت دون استثناء واحد منها ، وجذب القتلة الكاثوليك الهوجونوت البروتستانت من فراش نومهم ليضربوا رقابهم بالسيوف ، وكان من بينهم زعيم الهوجونوت وأبرز وجهائهم الجنرال « كوليجنى» أيضا ... وانتشرت مذابح كثيرة أخرى لاغتيال وقتل الهوجونوت فى كل الأقاليم والمدن والقرى الفرنسية .... وذبح الكاثوليك ما لا يقل عن خمسين ألفا من الهوجونوت فى هذه المذبحة الرهيبة ، وكأنما لم تكن الملكة الأم وحدها هى التى تشعر بالحقد والكراهية ضد الهوجونوت البروتستانت ، ولكن كانت الغالبية العظمى من الفرنسيين الكاثوليك يشعرون بنفس مشاعر الحقد والكراهية ضد الهوجونوت البروتستانت ... والعجب كل العجب ، وهذه هى حال الكاثوليك فى التعامل مع البروتستانت ، أن يتحدثوا عن أن الإسلام قد انتشر بالسيف، بينما سيوفهم مخضبة بدماء البروتستانت فى فرنسا فى مثل هذه المذبحة الرهيبة فى عيد القديس «بارتولومى» وحفل زفاف أخت ملك فرنسا هنرى الرابع ، كما كانت سيوف البروتستانت مخضبة بدماء الكاثوليك أيضا فى ألمانيا ودول وسط أوربا!!

31- التوقيع على الحكم بإعدام الملكة مارى (1586م)

The Signing Of The Death Warrant Of Queen Mary (1586)

كانت «مارى ستيوارت Mary Stuart» هى ملكة «سكوتلاندا» ، وكانت أقرب قريبات الملكة «إليزابث Elizabeth» ووريثة عرشها لو قدر للملكة مارى ستيوارت أن تعيش بعد وفاة الملكة إليزابث . وكانت أسرة ستيوارت التى تحكم سكوتلاندا أسرة كاثوليكية ، بينما كانت أسرة الملكة إليزابث أسرة بروتستانتية المذهب . ترى ، هل تترك الملكة إليزابث العرش لكى ترثه الملكة مارى ستيوارت الكاثوليكية لكى تعمل على انتشار مذهبها بين أفراد الشعب البريطانى الذين يعتنقون المذهب البروتستانتى ؟

مشكلة كانت تؤرق نوم الملكة إليزابث وكثيرا من رعايا عرشها البريطانى . وبعد مناورات ومؤامرات عديدة قام بها كل من الطرفين ، أصبحت الملكة الاسكوتلاندية مارى ستيوارت أسيرة سجينة لدى الملكة إليزابث فى قلعة «فوذرنجاى Fou-theringay» ، ولكن أعضاء البرلمان البريطانى ومعظم أبناء الشعب البريطانى لم يكفهم ذلك ، وكانوا يريدون قتل الملكة الاسكوتلاندية مارى ستيوارت لكى يضمنوا عدم مواجهة مشكلة دستورية ، ولكى يضمنوا عدم التعرض للقلاقل والاضطرابات التى يمكن أن تنجم لو تمكنت الملكة الكاثوليكية الاسكوتلاندية من الجلوس على عرش بريطانيا بطريقة مشروعة .

وفى عام (1586م) قام الاسكوتلانديون بمؤامرة كبرى لغزو بريطانيا واغتيال الملكة إليزابث لكى ترث «مارى» عرشها وتكون السيادة بالتالى للاسكوتلانديين على البريطانيين . كان الاسكوتلانديون إذن يريدون اغتيال الملكة إليزابث بالقوة المسلحة ، وكانت تلك المؤامرة الاسكوتلانديه وبالا على ملكتهم السجينة لدى الملكة إليزابث ، وحدد اتصال المتامرين بها مصيرها المحتوم ...

تم اقتياد الملكة مارى ستيوارت من محبسها إلى المحاكمة أمام 36 قاضيا ، وبعد استماعهم إلى دفاعها دون إصغاء حقيقى ، أدانها القضاة الستة والثلاثون بالإجماع بأنها مذنبة فى جريمة الخيانة العظمى لاشتراكها مع بنى قومها وملتها فى جريمة محاولة اغتيال الملكة إليزابث .

وفى اليوم السادس من شهر ديسمبر سنة 1586م كان حكم القضاة فى مارى ستيوارت يقرأ على كل أفراد الشعب البريطانى فى كل الكنائس والشوارع والميادين العامة ، لإقناع الشعب البريطانى بمشروعية إعدام الملكة الكاثوليكية الاسكوتلاندية المتآمرة الخائنة . وكان الشعب البريطانى يرغب أصلا فى التخلص من وجود الملكة مارى ستيوارت .

وهكذا كانت الملكة إليزابث تحرص على إعدام الملكة مارى بطريقة شرعية لا تدع أى مجال للتعاطف مع الضحية بأى حال من الأحوال ، إذ كان اغتيال ملك لأحد الملوك الآخرين من الأمور الكريهة لدى الناس وفى أعراف الملوك والملكات آنذاك . ولمزيد من الحرص والاحتياط تمهلت الملكة إليزابث فى تنفيذ حكم الإعدام الصادر من القضاة ضد الملكة مارى لمدة شهرين كاملين بعد صدور ذلك الحكم ، حيث كان الناس مشتاقين غاية الشوق لتنفيذ الحكم ، وحيث تآلفت مشاعر الناس وهدأت إزاء صدور ذلك الحكم الذى لم يبق إلا الإجراءات العملية لتنفيذه .... وفى اليوم الثامن من شهر فبراير سنة 1587م تم قراءة الحكم على الملكة مارى ستيوارت فى سجنها داخل قلعة «فوذرنجاى» وأطاح الجلاد برأس الملكة الاسكوتلاندية المتآمرة!!

ونتج عن إعدام الملكة ستيوارت أن تلاشت مشاكل الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت فوق الأراضى البريطانية ، التى كان يدين معظم شعبها بالمذهب البروتستانتى ، وتلاشت إلى حد كبير مخاطر عودة السيادة للمذهب الكاثوليكى فى حياة الملكة إليزابث على الأقل ، ولكن ذلك الصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية عاد ليطل برأسه من جديد فى عهد كل من الملك «جيمس الأول James I» والملك «شارل الأول Charles I» لكى تشتعل نيران الحرب بين أتباع المذهبين من جديد .

32- تحطيم الأرمادا الأسبانية (1588)

The Destruction Of The Spanish Armada (1588)

لمن تكون السيطرة على بحار العالم النشيطة بالحركة الملاحية العالمية فى القرن السادس عشر ؟ لقد برزت أهمية تحقيق السيادة البحرية عندما أصبح تأثير البر تأثيرا حاسما من النواحى العسكرية والتجارة والسياسة ، وأصبحت السيطرة على البحر مقدمة ضرورية للسيطرة على البر . واشتعلت المنافسة واشتد الصراع بين القوى والدول العظمى ، مثل : تركيا ، وأسبانيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وهولندا ، وحاولت كل دولة بناء أسطول قوى لفرض سيطرتها على البحار الحيوية فى العالم ، مثل المحيط الأطلسى ، والبحر المتوسط . وتعاونت الدول الأوربية لإخراج تركيا من نطاق المنافسة على السيطرة البحرية بعد موقعة «ليبانتو Lepanto» البحرية 1571م وهى المعركة المعروفة باعتبار أنها معركة الحلف المقدس ، وذلك لاشتراك الدول البحرية الأوربية فيها ضد الأسطول التركى مما أفضى إلى تقلص السيطرة العثمانية فى البحر المتوسط ، وقضت معركة «نوارين» البحرية سنة 1827م على كل آمال تركيا فى الحصول على سيطرة بحرية ضد الأساطيل الأوربية ، وكانت تلك هى بداية هجوم

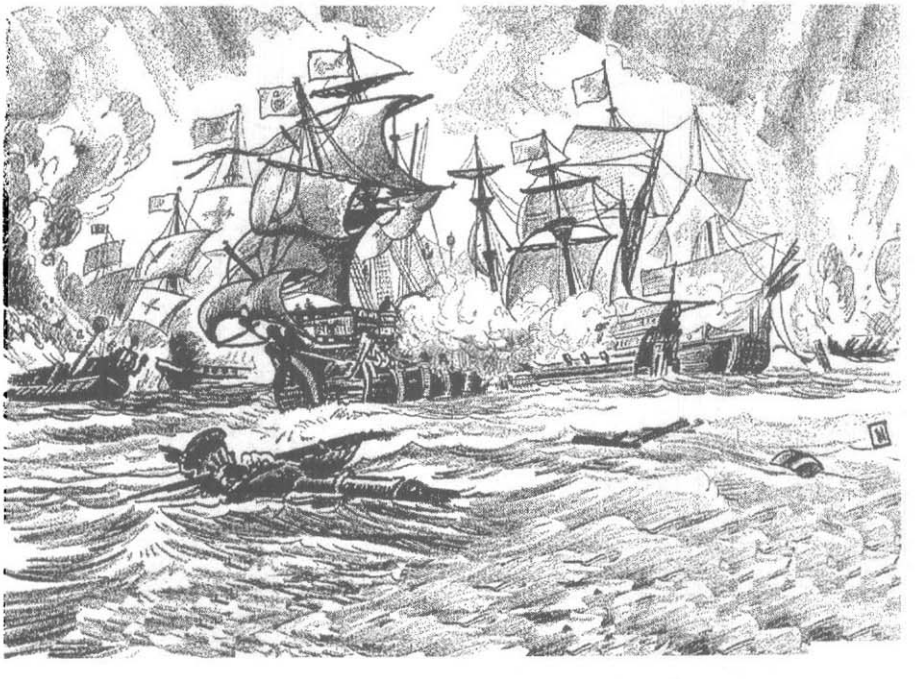

الأمراض على جسم الرجل المريض عندما تمت ترجمة السيطرة البحرية الأوربية إلى سيطرة على البر أيضا ، واضطرت تركيا إلى التخلى عن بلاد اليونان وغيرها من دول أوربا والانسحاب منها ، ثم تدهورت كل شئون الإمبراطورية العثمانية كنتيجة مباشرة لخسارة تركيا للسيطرة البحرية .

وفى عام 1587م وجدت أسبانيا أن سفنها لم يعد لها سلامة ولا أمن ، وهى تتحرك فى أعالى البحار . كانت الأساطيل البريطانية بقيادة أمراء البحر الإنجليزى مثل «دريك Drake» ـ «هالوكنجز Halokings» ـ وكثير غيرهما تسبب مضايقات كثيرة للسفن الأسبانية العائدة إلى أسبانيا بكميات كبيرة من خيرات المستعمرات الأسبانية فى أمريكا ، التى كان الأسبان قد توسعوا فى امتلاك أراضيها والسطو على خيراتها ، ولكن الطريق البحرى بين أسبانيا وممتلكاتها فى أمريكا كان مهددا تهديدا خطيرا ومستمرا ، من جراء النشاط المعادى للأسطول الإنجليزى ، وكان الطريق البحرى هو طريق المواصلات الوحيد بين أسبانيا وممتلكاتها فى القارة الجديدة ، مما جعل المشكلة تغدو مشكلة حادة لا مناص من حلها .

وعندما دمر أمير البحر الإنجليزى فرانسيس دريك مجموعة كبيرة من السفن الإسبانية عند «كاديز Cadiz» فى عام 1587م لم يستطع الملك الأسبانى «فيليب الثانى Philip II» أن يتغاضى عن الإهانات البحرية الإنجليزية ، وتحرك أسطول الأرمادا الأسبانى المكون من 130 سفينة مجهزة للقتال على متنها (27000) بحار أسبانى مدرب على القتال البحرى من ميناء «لشبونة Lisbon» بقيادة «دوق ميدينا سيدونيا Duke Of Medina Sidonia» لكى يلتحم مع الأسطول الأسبانى الموجود فى هولندا ويحمل عددا كبيرا من القوات البرية ، وذلك بهدف غزو أرض إنجلترا ذاتها . وهكذا لم يكن هدف الأرمادا الأسبانية هو مجرد تدمير ما يصادفه من سفن حربية إنجليزية فقط ، ولكنه كان يهدف إلى ما هو أبعد من ذلك ، كان يهدف أيضا إلى غزو إنجلترا فى عمق ديارها لاحتلال أراضيها ، لكى يحرم أى سفن حربية إنجليزية فى أعالى البحار من موطنها الأصلى ، وهكذا كانت الخطة الحربية للأرمادا الأسبانية خطة كبيرة وخطيرة ، وكان الهدف صعباً وعزيز المنال ....

ونجح الأسطول الإنجليزى تحت قيادة كل من : دريك ـ هاوكينجز ـ فروبيشر ـ بيرلى ، نجح الأسطول الإنجليزى بقيادة أولئك القادة ذوى الكفاءة الحربية البحرية الممتازة بكل مقاييس العصر فى الإفلات من أن تكون سفنهم ، التى لم يكن عددها يزيد عن تسعين سفينة محاصرة فى القنال الإنجليزى الضيق ، وأفسحوا المجال لسفن

أسطول الأرمادا الأسبانية لكى تدخل فى المصيدة التى كانت ترغب فى أن تصطاد بداخلها سفن الأسطول الإنجليزى . أصبحت معظم سفن الأسطول الإنجليزى فى عرض مياه المحيط الأطلسى حرة طليقة الحركة ، قادرة على كل أنواع المناورات دفاعا وهجوما ، ودخل الأسطول الأسبانى فى مياه القنال الإنجليزى الضيقة لأنه كان يهدف بطبيعة الحال إلى النزول بقوات برية على الأرض الإنجليزية ذاتها . ولقد كان هذا خطأ حربيا كبيرا دون شك ، وذلك لتشتت هدف الأرمادا بين البحر والبر . هل تهدف الأرمادا الأسبانية إلى إنزال قوات برية إلى عمق الأراضى الإنجليزية؟ كانت الأرمادا الأسبانية تريد تحقيق الهدفين معا ، ولذلك اندفعت إلى مياه القنال الإنجليزى ، لكى تحقق هدف الإنزال البرى وهى تحسب أن البحر قد خلا من السفن الإنجليزية التى يمكن أن تتصدى لها ، بينما كانت السفن الإنجليزية على مقربة منها ، ولكن فى عرض مياه المحيط لكى تتاح لها الحرية الكاملة فى المناورات البحرية بكافة أنواعها وأساليبها .

وهاجمت سفن الأسطول الإنجليزى الأرمادا الأسبانية وهى محاصرة فى مياه القنال الإنجليزى فى جو عاصف لم يألفه البحارة الأسبان ، وكان الهجوم الإنجليزى عنيفا وسريعا وكاسحا . واستمرت المعركة البحرية فى هجمات متتالية على سفن الأرمادا لمدة أسبوع كامل ، وفى كل يوم تتمكن سفن الأسطول الإنجليزى من إشعال النيران فى بعض سفن الأرمادا لتهوى إلى قاع البحر . وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو 1588م تم الإجهاز على معظم الأرمادا الأسبانية ، ولم ينقذ السفن القليلة الباقية من الأرمادا إلا تغيير مفاجئ فى اتجاه الرياح ونفاد معظم القذائف لدى سفن الأسطول الإنجليزى . وتمكنت بقية سفن الأرمادا من الانسحاب عائدة إلى بلادها ، وقد فقدت أسبانيا فى هذه المعركة نصف عدد سفن أسطولها ، وكانت معظم السفن الأسبانية التى تمكنت من الانسحاب معطوبة إلى حد كبير وهى تتجه إلى الموانئ الاسكوتلاندية والأيرلندية وهى منهكة القوى ، سواء فى ذلك السفن والبحارة .

ونتج عن تدمير الأرمادا الأسبانية فى هذه المعركة الحاسمة استقلال هولندا عن النفوذ الأسبانى ، كما تلاشت قدرة أسبانيا فى المنافسة على السيادة البحرية ، وكان أهم نتائج تدمير الأرمادا الأسبانية بالقرب من الشواطئ البريطانية هو تحقيق السيادة الإنجليزية الكاملة فى كل بحار العالم ،مما جعل بريطانيا أقوى دولة استعمارية ، لأنها أقوى دولة بحرية فى القرون التالية بدءا من القرن السادس عشر ، وعلى مدار قرون تالية من التاريخ الحديث ....

33 - إدخال العبيد إلى أمريكا (1619م)

The Introduction Of Slavery In America (1619)

اكتشف الأوربيون الأمريكتين ، ونشطت حركة هجرتهم إليها منذ بداية القرن السادس عشر . وانقضى القرن السادس عشر دون أن يدخل أمريكا أناس من ذوى البشرة السوداء طوال مائة عام . فكيف دخل العبيد إلى أمريكا ؟

فى عام 1442م حصل الأمير البرتغالى «هنرى البحار Henry The Navigator» على أول مجموعة من الزنوج المستعبدين من قارة إفريقيا . وهكذا بدأت مرحلة اصطياد البشر من الزنوج الأفارقة بطرق وأساليب مخططة منظمة بمشاركة تجار الرقيق الأسبان والإنجليز والهولنديين ، الذين اندفعوا إلى ممارسة هذه التجارة الرابحة ، تجارة العبيد التى كان قد بدأها البرتغاليون .

ولم يكن يوجد فى أوربا مجالات عمل منافسة لأعداد كبيرة من العبيد ، ولذلك تم توجيه نسبة كبيرة من حصيلة صيد العبيد إلى المستعمرات الأسبانية فى أمريكا ، من أولئك العبيد الذين قُدِّرلهم أن يظلوا على قيد الحياة فى نهاية الرحلة البحرية الطويلة من إفريقيا إلى أمريكا ، وكان تجار العبيد يقذفون بجثث من ماتوا من العبيد أثناء الرحلة إلى البحر ، بينما كان العبيد الناجون من الرحلة البحرية الطويلة يعملون بنظام السخرة دون أن يتقاضوا أى أجر فى مقابل أتعابهم فى زراعة وحصد قصب السكر ونقله ، والعمل فى مصانع السكر والمناجم فى المستعمرات الأسبانية فى أمريكا.

وفى شهر أغسطس سنة 1619م رست سفينة تجارية هولندية فى ميناء «جيمس تاون Jamestown» فى ولاية «فرجينيا الأمريكية Verginia» وأنزلت إلى البر عشرين زنجيا (20 Negroes» وتم بيعهم بسهولة للسكان فى تلك الولاية مقابل مائة دولار لكل زنجى . وكانت أعمال زراعة «الدخان Tubacco» والقطن Cotton» قد فتحت سوقا متعطشة للأيدى العاملة المستديمة ، وازدادت تجارة العبيد نشاطا بالتدريج ، وبحلول عام1790م كان هنالك 000 200 من العبيد فى ولاية فرجينيا وحدها .

وأدخلت تجارة العبيد إلى الولايات الشمالية فى أمريكا فى عام 1626م من خلال نشاط «شركة الهند الغربية West India Company» وفى سنة 1671م وصلت أول سفينة مخصصة لنقل العبيد فقط إلى ولاية «كارولينا الجنوبية South Carolina» ..

ولقد كان لاستقرار واتساع نطاق نظام تجارة الرقيق آثار بالغة السوء فى التاريخ الاجتماعى للولايات المتحدة الأمريكية ، مع ما كان يصاحبه من تمييز عنصرى ، ولأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية نجم عن اتساع نطاق تجارة العبيد خلاف وشقاق وحروب بين الولايات الشمالية التى كان يوجد بها أعداد قليلة من العبيد ، نظرا لطبيعة النشاط الصناعى والتجارى بها ، وبين الولايات الجنوبية التى كان استغلال العبيد فيها على نطاق واسع نظرا إلى طبيعة العمل فى المجال الزراعى الأكثر شيوعا فى الولايات الجنوبية ، مما أفضى إلى قيام الحرب بين ولايات الشمال وولايات الجنوب فى أمريكا من أجل تحرير العبيد فى عام 1860م ...

كانت هذه هى قصة دخول تجارة العبيد إلى أمريكا ، أما قصة تحرير العبيد فى أمريكا فهى قصة أخرى ..

34- الثورة الإنجليزية (1642 - 1659م)

The English Revolution (1642 - 1659)

اعتلى «شارل الأول Charles I» عرش إنجلترا فى عام (1625م) ، وفرض على الناس الضرائب الباهظة بطريقة استبدادية استنادا على الحق الإلهى المقدس للملوك ، الذى كان يعنى آنذاك أن الرب هو الذى يختار للناس ملوكهم ، ومن الضرورى أن يطيع الناس أوامر ملوكهم ، وكل من يعارض مشيئة الرب وإرادته يستحق أقصى عقوبة . وأسرف الملك شارل أيضا فى اضطهاد البيوريتان ، وهم طائفة دينية انشقت عن الكنيسة الإنجليكانية البروتستانتية ، وعارضت تعاليمها ، كما كانت البروتستانتية قد انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية وعارضتها . أسرف الملك شارل الأول ـ فيما يقال ـ فى اضطهاد طائفة البيوريتان ، وكان يحكم بالسجن على أى شخص يعترض طريقه . وعندما ثار أعضاء البرلمان ورفضوا الموافقة على حصول الملك شارل الأول

على فرض ضرائب جديدة ، عمد الملك شارل الأول إلى حل البرلمان وحكم بريطانيا لمدة إحدى عشرة سنة بدون برلمان . ولكن احتياج الملك شارل الأول إلى الأموال فى حربه الطويلة للقضاء على الثورة الاسكوتلاندية اضطرته إلى دعوة البرلمان للانعقاد فى سنة 1640م ورفض البرلمان اعتماد الضرائب التى كان يريدها الملك ، ولم يوافق عليها ، وأعلن إلغاءه بزعامة كل من «بيم Bym» وزميله «هامبدن Hampden» ، وقام البرلمان باختيار وتعيين وزراء لممارسة السلطة التنفيذية والسيطرة على الشئون المالية للدولة . ورفض الملك شارل الأول هذه التوصيات البرلمانية ، ودعا أنصاره إلى رفضها ، ودعا إلى ضرورة البطش بأعضاء البرلمان والبطش بكل الذين يناصرونهم ... وهكذا بدأت الحرب الأهلية بين أنصار الملك شارل الأول وأنصار أعضاء البرلمان الإنجليزى الذين أصروا على مواصلة ممارسة سلطاتهم باعتبارهم أنهم يمثلون إرادة الشعب وليس إرادة الملك، وليس للملك الحق فى حل البرلمان الذى انتخب الشعب أعضاءه حتى ينتخب الشعب أعضاء آخرين وفقا للنظام الدستورى الذى يلزم العمل بموجبه وعدم الإخلال به من جانب أى شخص ولو كان ذلك الشخص هو الملك نفسه . وبهذا المنطق القوى قطع البرلمان على الملك شارل الأول فرصة وإمكانية أن يصدر قرارا بحل البرلمان .

وابتهج الاسكوتلانديون لهذا الشقاق بين الملك والبرلمان ، واشتد ساعد مقاومتهم لقوات جيش الملك ، واستطاعوا أن يلحقوا بجيش الملك هزيمة ساحقة عند «مارستون مور Marston Moor» فى أقصى شمال اسكوتلاندا ، بينما لم تشارك القوات البريطانية التى كانت موجودة فى جنوب اسكوتلاندا تحت قيادة كل من «فيرفاكس Fairfax» و«كروموبل Cromwell» فى تلك المعركة .

وتمت هزيمة القوات الموالية للملك أيضا فى صراعها ضد القوات الموالية للبرلمان بقيادة كروموبل الذى عاد من اسكوتلاندا لقيادة القوات المعارضة للملك . وتم القبض على الملك شارل ووضعه فى السجن ، وحاول الفرار من السجن ، وتم القبض عليه مرة أخرى وإعادته إليه ، وجرت له محاكمة (صورية) فقد كان الحكم باعدام الملك معدا سلفا ، وأصدرت المحكمة حكمها أن يعدم الملك ، وتم تنفيذ الحكم فى سنة (1649م) . وتم إلغاء الملكية فى بريطانيا ، وتم إعلان بريطانيا كدولة للكومنولث Commonwealth» مشمولة بحماية كروموبل الذى اعتبر نفسه اللورد الحامى لهذا

الكومنولث Lord Protector على طريقة الأباطرة الرومان القدامى . وتم القضاء على الثورة فى اسكوتلاندا وفى إيرلندا أيضا ، وسيطر كرومويل على سلطات الحكم بيد من حديد .

وإذا كان المؤرخون عموما يرجعون أسباب ثورة كرومويل إلى استبداد الملك شارل، وفرض الضرائب الباهظة واضطهاد البيوريتان كما سبق أن أشرنا ، نجد أن كثيرا من الباحثين المدققين يرجعون السبب الأساسى فى ثورة كرومويل إلى مؤمرات اليهود والصهيونية العالمية ، ضد العرش البريطانى ، إذ كان الملك إدوارد الأول قد أمر بطرد اليهود جميعا من بريطانيا ، واستمر الملك شارل الأول فى تطبيق هذه السياسة ، وقرر زعماء اليهود أن يجعلوا العرش البريطانى عبرة لكل ملك فى أى دولة أوربية يجرؤ على الإقدام على طرد اليهود على نحو جماعى من كل أراضى الدولة التى يحكمها.

ويورد المؤرخون أدلة ووثائق لا يتطرق إليها الشك للتدليل على أن النشاط اليهودى كان هو السبب فى بذر الشقاق فى المجتمع البريطانى أولا ثم تشجيع كرومويل على الإطاحة بالملكية فى بريطانيا ثانيا .

كان «فرناندیز كارفاجال» اليهودى هو المستشار السياسى والعسكرى لدى كرومويل . وكان سفير البرتغال فى لندن «دى سوز» يهوديا أيضا ، وكانت سفارة البرتغال فى لندن هى حلقة الاتصال بين كرومويل وزعماء اليهود فى العالم .

ولقد تم العثور على رسالة هامة تدل على التواطؤ الوثيق بين كرومويل وزعماء اليهود خارج بريطانيا ، وهى رسالة مؤرخة بتاريخ 6 مايو سنة (1647م) من كرومويل إلى «ابن عازر برات» رئيس الكنيس اليهودى فى أمستردام ، ويقول كرومويل فى هذه الرسالة : « سوف أوافق على وجود اليهود من جديد فى إنجلترا فى مقابل المعونة المالية المتفق عليها ، ولكن ذلك مستحيل الآن مادام الملك شارل لا يزال حيا ، ولا يمكن إعدام الملك شارل دون محاكمة . ولا نملك فى الوقت الحالى أساسا وجيها للمحاكمة يكفى لاستصدار حكم قضائى بإعدامه . ولذلك فنحن ننصح أن يتم اغتياله ، ولكننا لن نتدخل فى الترتيبات لتدبير قتله ، غير أننا سوف نساعده فى حالة هروبه .!!

وردا على رسالة كروموبل كتب إليه مصدر تمويله اليهودى برات من كنيس أمستردام الرسالة التالية : «سوف نقدم المعونة المالية حالما تتم إزالة شارل وحالما يتم قبول اليهود فى إنجلترا . الاغتيال خطر جدا . ينبغى إعطاء شارل فرصة للهروب ، وعندئذ يكون القبض عليه مرة أخرى سببا وجيها للمحاكمة والإعدام . وسوف تكون المعونة وافرة وجاهزة ، ولكن لا فائدة من مناقشة شروطها قبل البدء بالمحاكمة [1] .

فى بداية الرد على رسالة كروموبل بدأ اليهودى برات بالوعد بالمعونة المالية ثم وضع شروطها . ورفض تدبير أمر أى شخص يهودى أو غير يهودى ليقوم باغتيال الملك شارل بالرغم من تعهد كروموبل بتسهيل مهمته وتسهيل هروبه . ولقد أعطى لكروموبل الحل البديل ، وهو تسهيل هروب الملك شارل ليكون الهروب ذريعة لمحاكمته ، لأن الهروب يشين الملوك ، ويحط من شأنهم ، ويوحى إلى الشعب أن لدى الملك الهارب ما يدينه ويشينه ، ولقد جاء فى مسرحية هاملت قول الملك لوزيره: «الملوك لا يختبئون يا بولونيوس» وهكذا يكون هروب الملك سببا فى محاكمته تمهيدا لإعدامه ، وتظل يد اليهود نظيفة تماما من دم الملك شارل . إنهم على استعداد لدفع المال ، والدفع بعد التنفيذ وبشروط .

هذه أدلة مادية وملموسة تم العثور عليها تثبت أن اليهود هم الذين دبروا للثورة ضد الملك شارل الأول مما أفضى إلى إعدامه لتآمر اليهود مع كروموبل لكن التآمر اليهودى رغم دقته وإحكامه تسللت إليه الثغرات ، إذ أن اليهود تآمروا مع كروموبل ، وأهملوا أن يتآمروا مع ابن كروموبل الذى أعاد العرش البريطانى إلى أصحابه بعد وفاة كروموبل . ولم يضع اليهود فى حسابهم أيضا مدى حب الشعب البريطانى للنظام الملكى . وعادت الملكية إلى بريطانيا مرة أخرى مباشرة بعد وفاة كروموبل .

(1) وليم جاى كار : أحجار على رقعة الشطرنج – ترجمة جزائرلى ص 65 .